المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(صدر في يوم الخميس غرة رجب سنة ١٣١٨ — ٢٥ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٠)

العلم والجهل

امثال للعلم والجهل . سعي بعض عربان مصر بافتتاح المدارس . الانتقاد عليهم ورده . تعليم الازهر . ما يحتاجه الازهر من الاصلاح . ما تحتاجه المدارس الاميرية . ما يطلب من المدارس الاهلية . مقاصد مؤسسي المدارس في الغالب . اكل أموال الفلاحين بالربا الفاحش بسبب الجهل . الجمود على التقاليد والخرافات بسببه . روح استقلال الفكر في التعليم الجديد .

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»

«إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ»

العلم خير كله والجهل شرٌّ كله فلا ينبغي للبيب ان يقول ان الجهل الكثير خير من العلم القليل الذي لا يفي بحاجة البلاد لان هذا تفضيل للشر الكثير على الخير القليل . العلم سعادة والجهل شقاوة ولا يختار ناصح لقومه الشقاوة على السعادة اذا رأى ان ما تطلبه من وسائل الاسعاد ناقصاً غير تام او رآها تختار غير الاولى منها على ما هو اولى . العلم نور لا مع

وضياء ساطع والجهل ظلمات بعضها فوق بعض ولا يقولن بصير ان الظلمة الحالكة افضل من النور الضئيل وان من فاتته القناديل الكهربائية فليكسر المصابيح الزيتية . كما لا وجه له ان يقول ان النور مذموم وضارّ لان الاشرار يتمتعون به بما يتقلبون فى السيئات ويسيرون فى خطط الخطيئات ولولاه لما تمّ لهم ذلك التمتع فان الذى يذم النور بمثل هذا ويذم العلم بأنه يكون شاغلاً للآخذين به عن الاعمال والمكاسب ونحو ذلك هو كمن يذم العينين لان من الناس من يسرحهما تسريحاً مذموماً محرماً ويذم الاذنين لانه يسمع بهما الفاظ الهجر والفحش ويذم العقل لان من الناس من يستنبط به المكايد والحيل لهضم حقوق اخوانه

قام بعض اهل الغيرة من عربان مصر يسعى فى انشاء مدرسة او مدارس لتعليم ابناء قومه فاستنكر هذا الامر بعض الناس وانتقدوه وذهبوا الى انه يفسد على العربان معيشتهم ويبطل نظامهم ويكون مجلبة الشقاء والتعاسة لهم حتى اضطر المقترح للاعتذار ودفع الالتباس . وتبرئة النفس من ارادة الشر امام الناس . فيا لله ولهذا الانسان ما اغرب اطواره . واعجب اوطاره . وما ابعد فكره . وأفعل سحره . وما اسحر بيانه واغوى شيطانه . وما اقوى هواه . واضعف هداه . يذم العلم والتعليم . ويريك انه يهديك الى صراط مستقيم

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت فقل قيء الزنابير

مدح وذمّ وذات الشيء واحدة ان البيان يري الظلماء كالنور

العلم كالعقل والحواس لا تذم بحال . وانما تبيّن الطريقة المثلى للاستعمال . ألا ترانا ننقد دائماً طريقة التعليم في الازهر الشريف ولكننا

لا نقول ان عدم الازهر او عدم العلم والتعليم فيه خير من وجوده على ما نعلم فى ذلك من المضرات وقد انتقدنا وغيرنا من الكتاب على المدارس الاميرية ونظارة المعارف العمومية كما انتقدنا وننتقد المدارس الاهلية وتعليمها وتربيتها (ان كان فيها تربية) ولا نعنى بشىء من ذلك ان الجهل خير من العلم او ان اهمال التعليم خير من التعليم الناقص إن نريد الا الاصلاح ما استطعنا فمن يستطيع الكلام قولاً او كتابة يجب عليه ان يتكلم بما يعتقده اصلاحاً والا كان خائناً لأمته وملته وبلاده وعسى ان يفعل من يستطيع الفعل والله الموفق لمن يشاء من عباده

نطلب من مشيخة الازهر اصلاح طريقة التعليم ليقرب التحصيل على الطلاب فيخرج لنا فى كل سنة من المجاورين المعدودين بالالوف مئات او عشرات من المرشدين والوعاظ والمعلمين للدين والآداب ونطلب ايضاً ملاحظة التربية مع التعليم فان علماء الاجتماع عامة وعلماء البيداجوجيا (التربية والتعليم) خاصة مجمعون على ان التربية هى اقوى الركنين وانفع العنصرين وان السعادة قد تنال بتربية من غير تعليم — غير ما تستلزمه هى — ولكن التعليم وحده لا يغنى غناءها ولا يسد مسدها ولا توجد فى الدنيا مدرسة لملة من الملل لا يوجد فيها للتربية اسم ولا مسمى كمدرسة الازهر وعذر مشيخة الازهر في هذا ان الزام طلاب العلم بالنظافة والادب والنظام في المعيشة والسيطرة عليهم فى سيرتهم الشخصية امر لم يجر عليه الشيوخ السابقون وتحكم فى حريتهم بغير مسوغ شرعى والجواب عنه انه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين بنص الكتاب العزيز وان المعلم قيم شرعى كالوالدين فيطلب منه من التربية ما يطلب من

الوالدين وانا نرى كثيرين من الشيوخ المدرسين يشتمون المجاورين ويهينونهم لأمور ليست بذات بال ويتنى لهم ارشادهم للآداب والفضائل باللين والهداية من غير تحكم يسيء . على ان هذه الحرية المطلقة هى التى جعلت الازهر عبرة للمعتبرين واستعباراً للمستعبرين (كما استعبر تلك الكونتسة الروسية التى جاءت من بلاد روسيا الى مصر لتشاهد عز الاسلام واعظم مدارسه العالية — الازهر — فلما دخلت هذه المدرسة الطاهرة الصيت لم تملك عبرتها ان تسيل على خدودها حتى خرجت آسفة حزينة)

ونطلب امراً ثالثاً مهماً وهو ان يكون لطلاب العلم فى الازهر إلمام بمبادئ العلوم التى عليها مدار المدنية الحاضرة والسعادة الدنيوية فان الاسلام ما جاء الا ليهب الناس السعادتين والفوز بالحسنيين وذلك كعلم الاجتماع وعلم حفظ الصحة ومبادئ التاريخ الطبيعي وغير ذلك من الفنون المتداولة بين الناس فى هذا العصر وبذلك يستعدون للدعوة الى الدين وحفظه ومخاطبة الناس على قدر عقولهم كما يجب على ورثة الانبياء

ونطلب من نظارة المعارف ان تقرن فى المدارس التربية الدينية بالتربية الجسدية والعقلية وان تزيد عنايتها باللغة العربية لكيلا تتلاشى امام اللغة الانكليزية اذا دامت هذه على تقدمها وتلك على تأخرها

ونطلب من المدارس الاهلية ما نطلبه من المدارس الاميرية وزيادة مهمة اذا وجدت كانت هذه المدارس قرة عيون الأمة ومنتهى رجاء البلاد وهى إشراب قلوب التلامذة ان ثمرة التعليم والتربية ليست محصورة فى وظائف الحكومة وانما ثمرتها سعادة الحياة والاستعداد لأتقان اى عمل يتصدى له المتعلم من زراعة وصناعة وتجارة وامارة اذ المطلوب

لاسعاد الامة ان يعم التعليم والتربية جميع افرادها وتبقى مع ذلك كل طبقة من الطبقات على عملها وكسبها

نرحب بالمدارس الاهلية ونثني على مؤسسيها ونلهج بشكرهم وحمدهم وسخائهم ورفدهم وان كنا نعلم ان منهم من لا يقصد بانشاء المدرسة الا التجارة والكسب ومنهم من يطلب الأحدوثة وحسن الذكر ولا يهمه بعد ذلك استفاد المتعلمون ما هي الغاية الحقيقية من التربية والتعليم ام لم يستفيدوا لعلمنا ان الرياء فطرة الاخلاص وان المتعلم اقرب الى الاصلاح من الجاهل المطلق وان كان هذا محل نظر

أرأيتك هذا الفلاح الذي يلعب به المرابون لعب الصبيان بالكرة فيأخذون منه الربا اضعافاً مضاعفة ثم يشترون قطنه بثمن بخس لو كان متعلماً هذا التعليم الناقص هل كان يتسنى لهم غشه الى هذا الحد ؟؟

أرأيتك هذا العامي الذي افسدت عقله وروحه ونفسه التقاليد الباطلة والخرافات القاتلة ولا يفهم لك دليلاً ولا برهاناً . ولا يراجع في تقليده عقلاً ولا وجداناً . لو تعلم هذا التعلم الناقص الا يستعد بذلك عقله لفهم الدلائل . والتمييز بين الحق والباطل . اذا القي اليه ذلك ممن يفهمه . وتصدى لتعليمه اياه من يعلمه . ؟

بلى انه يستعد بهذا التعليم تعليم المدارس لكل هذا ولما هو اعلى منه وذلك ان فيها روح استقلال الفكر ولكن هذا الروح مفقود من الازهر وكل ما فيه من العلم تقليد اعمى لبعض المصنفين من المتأخرين لحسبان ان من يفند قول واحد منهم يخرج من الدين او العلم . ولكننا نرى هذا الروح قد رضي عن الازهر وطفق يسري فيه بالتدريج ونسأل الله التوفيق للكمال .